الأمة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السادس – السنة الثانية 1990

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندا

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.almawsem.net
www.shiaparliament.com

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز اطلاع رسانی

۱۳۸۹/۱۰/۲۲

Shiabooks.net

صفوان بن ادريس
(٥٦٠ـ٥٩٨هـ)

شاعر أهل البيت في الأندلس

بقلم الدكتور عدنان محمد آل طعمه*
مدريد ـ اسبانيا

ينتمي صفوان بن ادريس التجيبي إلى عائلة نبيلة ومعروفة في حقلها العلمي والأدبي[1] فقد كان أبوه وخاله من مشاهير علماء عصرهم في الاندلس .

ولد صفوان في مرسيه بين عامي (٥٦٠ ـ ٥٦١ هـ) ونشأ محباً للعلم في بيئة مثقفة وسط علماء عُرفوا بالتقوى والصلاح فدرس أولاً على يد والده ادريس بن ابراهيم التجيبي (ت ٦٠٦هـ) والعالم بالوثائق والعقود ، وخاله القاضي ابي القاسم محمد بن العباس بن ادريس (ت ٦٠١هـ) ثم انتقل بعدها إلى دراسة العربية واللغة والأدب على يد أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي (ت ٢٨٧)[2] ، وأبي رجال بن غلبون (ت ٥٨٩هـ) إذ وصف الأول في كتابه ، بأن له حق التعليم ، والتدريس عليه[3] ، وأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨

---

* ولد في كربلاء عام ١٩٤٨ ، بكالوريوس آداب ولغة عربية من جامعة المستنصرية ـ بغداد ١٩٧٢ . ماجستير من جامعة القاهرة كلية دار العلوم عام ١٩٧٧ ، دكتوراه من جامعة غرناطة ـ اسبانيا عام ١٩٨٥ ، باحث متخصص بالدراسات الاندلسية والمقارنة والموريسكية ، صدر له :

١ ـ مرشحات ابن بقي العطليطلي وخصائصه الفنية . بغداد . وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٩ ، ٢٢٢ ص .

٢ ـ المختار الأنيس من عدة الجليس (دراسة وتحقيق وترجمة) طرابلس ـ ليبيا ١٩٨٧ .

يعمل على تحقيق كتاب (القند في تاريخ سمرقند) للنسفي (ت ٥٣٧) وله بحوث عديدة في التاريخ والأدب الاندلسي شارك بها في دوائر معارف ومجلات متخصصة بشؤون التراث .

١ ـ ابن الابار : التكملة رقم ١٨٩٥ ، تحفة القادم : ٨٢ ـ ٨٦

٢ ـ زاد المسافر ٧٩ ، التكملة رقم ٥٨٧ ، ١٨٩٥ .

٣ ـ زاد المسافر ٧٢ .

هـ) ، وأبي العباس أحمد بن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) وهو الرجل الذي درس عليه صحيح مسلم ، وهو أمر يبعث على الحيرة لأن ابن مضاء عالم النحو والعربية يدرّس الحديث في سن متقدم!! ، وعلى ايّة حال فقد كان اساتذته مشهورين جداً . كما درس عند أبي الوليد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) وأبي القاسم عبد الرحمن بين حبيش (ت ٥٨٤هـ) وابن حوط الله (ت ٦١٢هـ) وغيرهم .

لقد استطاع هؤلاء العلماء ان يبنوا شخصية ابن ادريس العلمية والأدبية وصقلها ، لكننا لا نعلم متى رحل صفوان الى قرطبة واشبيلية وشاطبة وبلنسية غير انه من المؤكد قد فعل ذلك ، ودخل إلى غرناطة وامتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيان حسبما يظهر في عجالته من غير تحقيق[٤] .

كما رحل الى مراكش أيام المنصور الموحّدي في حاجة مالية ، فلم يوفق إلى ذلك فصرف نفسه إلى امتداح الرسول الكريم (ص) وأهل بيته وكان ذلك عام ٥٩٠هـ ومنها نعرف أن صفوان كان متزوجاً وله أبناء قد كبروا ، وكانت رحلته هذه سبباً في ذلك .

إذ أراد تزويج إحدى بناته فلم يستطع في البداية كما نعرف ان له أخاً يعرف ابراهيم[٥] ، وكان شاعراً أيضاً . ثم ان صفوان شرع في مدح اهل البيت عليهم السلام ، وهو إيذان بصعود نجمه ، قيل ان المنصور قد رأى أباه في النوم ليقول له : إنّ ببابك رجلٌ يُعرف بصاحب الرؤيا[٦] فوجّه اليه الأمير أبا القاسم بن بقي ، والكاتب ابا الفضل بن محشوة وسألاه عن مطلبه فقضيت حاجته وزُوّد بأربعمائة دينار . ويقال أن المنصور ادعى هذه الرؤيا لما وجد أبا بحر يرثي الحسين عليه السلام ويبكيه ، فأراد أن يُحسن اليه لكيلا يكثر الشعراء عليه فادعى الرؤيا[٧] ، ويقال انه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فأخبره بذلك[٨] ، وقد ترك صفوان تلامذة مشهورين منهم أبو عبد الله بن أبي البقاء ، وأبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ) الذي كتب لهُ بعد انفصاله من بلنسية يُصوّر فيها الغربة التي كان يعانيها بعد تركه موطنه وأهله[٩] كما كان له أصدقاء يراسلونه ويستجيزونه ، وله مراسلات ومساجلات ادبية حافلة .

---

٤ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ٣/٣٥٩ .
٥ ـ تحفة القادم ١٣٨ .
٦ ـ المصدر السابق ١٥٣ .
٧ ـ المصدر السابق ١٥٤ .
٨ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ٣/٣٥٩ .
٩ ـ الاحاطة ٤/٢٩٧ .

ويتضح من خلال هذه المساجلات أهمية ابن ادريس وقيمته الأدبية ومقدرته الفنية ، والصور التي يرسمها لنا عن ثقافة عصره ومجتمعه . خاصة وان صفوان هذا قد حفظ لنا في مؤلفه زاد المسافر ترجمة (٦٣) شاعراً وأديباً من شعراء وأدباء القرن السادس الهجري ، وهو عمل ممتاز ، إذ حفظ لنا جملة اسمائهم ونتاجاتهم ، وقد اعتمد عليه جميع الكتاب الذين جاؤوا بعده . ومن بين اصدقائه المشهورين :

١ ـ مرج الكحل : أبو عبد الله محمد بن أدريس (ت ٦٣٤ هـ) من أهل جزيرة شقر ، الشاعر المعروف الذي كان يكتب لصفوان بن ادريس قصائد ينتظر الاجابة عليها وهو ما كان صفوان بن ادريس يعملها دائماً مع اصدقائه[١٠] .

٢ ـ أبو بكر البلنسي : كتب له يستجيزه في أبيات فأجابه إلى ذلك وقد وردت هذه الأبيات عند ابن ظافر الازدي .[١١]

٣ ـ أبو محمد عبد الله بن حامد الوزير : كانت بينه وبين صفوان بن ادريس صداقة واخوّة وصفه ابو بحر بقوله :

«ما عسى أن أقول فيه ، واسمه يُحسبه ويكفيه ، انفرد بالسؤدد ، فأمن من الاشتراك» وكان بينهما اخلاص ومودّة ومراسلة وثناء فمدحه بأبيات اثبتها في مصنفه[١٢] .

كان صفوان شاعراً يتمتع باحساس رقيق وعاطفة وقّادة ، وخيال خصب وان شعره لا يعدو الوصف والغزل والمدح والرثاء ، وان غزله عفيفاً ثم انه مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقصائد جميلة[١٣] ، وان ابن الأبّار عقد مقارنة بينه وبين ابن بقي (ت ٥٤٠هـ)[١٤] . وفوق هذا فقد حظي صفوان بشهرة واسعة خاصة بالمغرب والاندلس ، اذ كان يقوم بتهيأة العزاء الحسيني في عاشوراء ، ويسير أمام الموكب لينشد الناس المشاركين في المسيرة المهيبة قصائد تمثل صوراً للمأساة التي حلّت بالحسين عليه السلام ، ومصرع أهله واصحابه في واقعة كربلاء سنة ٦١هـ وسبي نسائه وأهله وأطفاله ، و قد وصف ابن الخطيب صورة العزاء الذي كان

---

١٠ ـ زاد المسافر ٦٩ ـ ٧٠

١١ ـ بدائع البدائه /٧٨ .

١٢ ـ زاد المسافر ٨٢

١٣ ـ ابن شاكر : فوات الوفيات ٢/١١٨ ـ ١١٩ .

١٤ ـ تحفة القادم ٨٤ وابن سعيد : المغرب ٢/٢٦٠ ـ ٢٦١ .

الشريف الغرناطي : رفع الحجب المستورة ١/٥٨ .

يُعرف بالأندلس بالحسينية وهي عادة قديمة لا يُعرف تأريخها على وجه التحديد ، لكنها كانت تقام في مرسيه وبلنسيه اذ انتشر الولاء والحبّ لأهل البيت عليهم السلام في هذه المدن . كما كان الناس يسيرون في مواكب مهيبة توقد فيها الشموع ، وتنشد قصائده في جوٍ من الخشوع يُصور فيها المأساة ضمن مراسم يُقام فيها مشهد جنائزي ترتفع فيها اصوات المنشدين الجماعية بالبكاء على الحسين عليه السلام[١٥] ومهما قيل في الصفة او الحسينية فلم يُعرف اليوم اصولها ، وهو الخط الذي رسمه ابن ابي الخصال الكاتب ، ورثاء صفوان وبكاؤه على الحسين عليه السلام يتسم بعمق الاحساس ، ولوعة الأسى ، وتوهّج العاطفة فهو يصور لنا مشاهد تنبض بالانفعال والحياة في جوّ موسيقي حزين ونبرات متوجّعة ، وأنّات محترقة[١٦] يستحضر من مشاهده شخوصاً لتثير المُشاهد فيتأثر بعمق المأساة فيصور لنا فاطمة عليها السلام باكية شاكية الى أبيها مصرع ولدها الحسين عليه السلام وهي تذرف الدموع الغزار[١٧] .

توفي صفوان دون علّة أو مرض وسنه سبع وثلاثون سنة وقد تولى أبوه الصلاة عليه ودفن في مسجد وترك مؤلفات عديدة ذات قيمة ادبية عالية واشهرها :

١ ـ زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر : وهذا الكتاب كما ذكرنا عبارة عن تراجم لأدباء وشعراء من القرن السادس الهجري ، وأورد فيه أشعاراً كتبت خصيصاً له لشعراء كانوا أساتذة أو أصدقاء له وتبدو فيها أهمية صفوان الادبية ومنزلته العلمية والاجتماعية في ذلك العصر كما اورد في هذا الكتاب ترجمة لعائلته وخصّ والده وخاله بالذكر وهو ما يعرف اليوم بالدعاية ووسائل الاعلام على الرغم من أن عائلته لم تكن مغمورة في الاندلس وبمرسية على وجه الخصوص وقد اعتذر المؤلف في نهاية الكتاب بلياقة فائقة بهذا الشأن وذكر انه لم يرد الفخر بذلك ، ولهذا ارجأهم في آخر الكتاب[١٨] . وكل من جاء بعد صفوان قد استفاد من هذا الكتاب ونقل عنه[١٩] . وقد عارض ابن الأبار صفوان في كتابه هذا بتحفة القادم نشر الكتاب لأول مرّة في بيروت عام ١٩٣٧ واعيد نشره في بيروت ايضاً عام ١٩٧٠ .

٢ ـ عجالة المستوفز وبداهة المتحفّز ، سماها ابن الأبار «عجالة المتحفّز وبداهة المستوفز»[٢٠] . وهو مجموع ما ترك ابن ادريس من شعر ونثر غير زاد المسافر ضمّ رسائله النثرية وقصائده التي

---

١٥ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٨٠٧ ، ٦٩٧ . رواية الهراس ص . ك .

١٦ و١٧ ـ الهراس : عبد السلام ص/ل

١٨ ـ زاد المسافر ١٥٧ .

١٩ ـ ابن الابار : الحلّة السيراء ٢/٢٣٧ . ابن سعيد : المغرب ١/٧٧ ، ١٣٧ . ٢/٣٧٣ ـ ٣٨٥ ، ٣٩٠ الخ .

٢٠ ـ التكملة رقم ١٨٩٥ .

قيلت في مناسبات مختلفة واغراض متنوعة كذلك ضمّ هذا الكتاب مجموعة الرسائل التي خوطب فيها والأشعار التي ارسلت اليه[٢١] ، ويذكر ابن الخطيب أنه في مجلّدين[٢٢] ، يضم الأول ديوان شعره ، ويضم الثاني رسائله النثرية وقد اورد ابن الخطيب بعض شعره ونثره نقلاً عن العجالة . ويبدو ان هذا المجموع اشتمل على آثار صفوان بن ادريس جميعها حتى تلك الرسالةالتي فاضل فيها من بين مدن الاندلس ، واوردها المقري في نفح الطيب[٢٣] . لكن يهمنا في هذا المقام المخمسة التي تحتفظ بها الاسكوريال وهي مبنية على حروف المعجم خمس بها قصيدة امرىء القيس : (الا انعم صباحاً ايها الطلل البالي) وعددها ثماني وعشرون خماسية في رثاء الحسين عليه السلام ، آثرت نشرها لأول مرّة على صفحات (الموسم) الغراء المعنية بشؤون وتراث آل البيت عليهمَ السلام ، والمخمسة يصور فيها صفوان مأساة كربلاء ، ويبدي بكاءه ونحيبه ثم يمضي لمواساة الرسول صلى لله عليه وآله وسلم وبعدها يخاطب يزيد وأعوانه مثل ابن سعد وعبيد الله ابن زياد عليهم اللعنة في الجريمة التي ارتكبوها بحق السبط ، أما لو كانوا قد راعَوْا حرمة جده المصطفى (ص) ، ألم يكن خيراً لهم في ذلك؟ وفيها يصرح بولائه وحبه ووقوفه الى جانب اهل البيت (ع) وهي من القصائد اليتيمة التي بقيت لنا في أدب التشيع والولاء لأهل البيت في الأندلس واليك مخمسة ابن ادريس كما وجدتها في نسخة الاسكوريال ، ارجو بنشرها مرضاة الله وثوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه

مُخَمَّسَةٌ مَبْنِيَّةٌ أشعارُها على نسقِ حروفِ المعجمِ ، مذيَّلة المركز باعجاز من قصيدة : «ألا عِمْ صَبَاحاً»

لصفوان بن ادريس يرثي بها حُسَيْناً رضي الله عنه ورحِمه :

---

٢١ ـ تحفة القادم ٨٢ .

٢٢ ـ الاحاطة ٣/٣٥٠ .

٢٣ ـ الاحاطة ٣/٣٥٠ ـ ٣٥٩ .

- ١ -

سلامي والمامي وصوبُ بكاءِ على معهدٍ للسادة النجباءِ
ثوىٰ أهلُهُ من بعد طولِ ثواء أُناديهِ لو أصغى لطولِ نداءِ
ألا عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي

- ٢ -

أحيِّيه والدمع المصونُ المحجبُ كأغلِ أهليه يصوب ويسكبُ
يفضض طوراً وجنتيّ ويذهب أقول له وهو أجردُ سبسب
وهل ينعمن من كان في العُصُرِ الخالِ

- ٣ -

رضيتُ لهذا القلب باللوعةِ التي يقومُ بها سوق اللآلي بمقلتي
وعهدي به والدهر جدّ مقيتي صبورٌ على الأرزاء جمُّ التثبتِ
قليلُ الهموم ما يبيت بأوجالِ

- ٤ -

ألا هل تُناجي دارهم وتحدّث فأنفث والمصدور مثليَ ينفثُ
وهل يسمعن قولي تراث وكتكث ولو انني ابقى عليه وأمكث
ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوالِ

- ٥ -

لرزء رسولِ اللهِ بالطَّف انشجُ ودمعي في مرضاته تتدحرج
كأن الأسى درّ الدموع يُبَهْرجُ وغيري من يفنى كما هام حندج
بوادي الخزامى أو على رسّ أو غالِ

- ٦ -

مصابي بآل المصطفى ليسَ يبرح فيا لك نجزاً في مثالى وترفح
سوى مدمعي طوعَ الصبابة ينفح ألم تر اني والدجنّة يصبح
كبرتُ وان لا يحسنُ اللهو امثالِ

- ٧ -

ألا هل أتى المختار والحق اشمخ مقامَ حسين وهو بالدم يلطخ
ينادي بأهلِ روعهم ليس يفرخ وأشقى بني حرب يُنادي ويصرخ
بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

-٨-

على حين نجل المصطفى يتبَّردُ وأيدي بنيه بالجوامع تُعقَدُ
وأبشارهم بالمرهفات تخرَّد وفي كل صدرٍ لوعةٌ تتوقدُ
كمصباح زيت في قناديل ذُبَّالِ

-٩-

هم نبذ الأوهان والغي يُنبذ وقاموا بنصر الحق لوجدّ منقذ
وشبت لهم نارُ الوغىٰ فتلذذُ بمارج نارٍ جمرةُ يتأخذ
أصاب غضا جزلاً وكف بأجدال

-١٠-

خلا ربعهم منهم فما فيه مخبر سوى أثرٌ للهدي يخفى ويظهر
تدل عليه زفرة فتسعر تنافح مسراها رخاء وسرسر
صبا وشمال من منازل قفال

-١١-

الى فئة الحق المبين تحيّزي وبالحب في آل الرسول تميُّزي
أدلت لهم صبري بُعَيْد تعززي واعطيت دمعي والأسى وعد منجزي
بما احتسبا من غير مين وتسآل

-١٢-

رضيت عدو الله والله ساخط بما فعلت في كربلاء المناقط
ألا بأبي تلك الدماءُ الغوابطُ وأبصارُها الأعلون عنها شواحط
بيثرب ادنىٰ دارَها نظرٌ عالِ

-١٣-

أبا خالدٍ والقدحُ في الدين عايظُ أبى الحق ان تحنوا عليه الحوافظ
وانعىٰ لآل الله حليم قوايظ سمت نحوها أحقادهم والحفايظ
سمو حبابِ الماءِ حالاً على حال

-١٤-

أما كان فيكم منكرٌ يوم ذالكا يقول وقد خاضَ السيوف الفواتكا
وباشر في نصر الحسين المهالكا لعمري لا القى لكَ اليوم تاركا
ولو قطّعوا رأسي لديكَ وأوصالِ

- ١٥ -

وعاذلة هبّت على الحزن تعول تقول مِنَ السلوان مالست أفعل
بذلت لها نصحي وذو الرُّشد يبذل وانبأتها اني على السبط أعول
وروضة صعبة الىّ ادلالِ

- ١٦ -

كأني بمن عادى الرسول تجرُّ ما ونادىٰ بنصر الادعاء وهيما
وجدّ الى حرب الحسين وصمما يُقاد الى نار الوقود مذمما
عليه القتام سيء الظن والبال

- ١٧ -

ألا ان سر البغي باللطف أعلنا غداة جنى حلو الشهادة من جنىٰ
وازمع لايلوي عناناً على المُدُن اتيحت لها بيض مموهة السنا
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

- ١٨ -

فقل لابن سعد والعصا عبدُ من عصا حلفتُ إليه ويك اشأم ابرصا
ولو انه شاء الخلاص تخلُّصا وجدّ لكم فوق الحصا عدد الحصا
وليس بذي سيف وليس بنبّال

- ١٩ -

ولكنه ماشام سيفاً ولا انتضىٰ وعن برم الدنيا الدنية اعرضا
وفي أن يلاقي جدّه البر اغمضا وقد شغفته لوعة سخطها رضا
كما شغف المهنوءة الرجل الضالِ

- ٢٠ -

هم خدعوه والكريم مخدّع بمختلف مافيه للصدق مطمع
وقال لهم ذو أفكهم وهو يسمع ألم يأته والرشد بالغي يُدفع
فإنّ الفتى يهذي وليس بفعّال

- ٢١ -

فلما استطارت بينهم شُعَلُ الوغى رغا فوقهم سقف السماء بما رغا
وأصبح ثرثار الهداية اكتفا والسنة الباغين يا ويل من بغا
نقلن لأهل الحلم ضُلاًّ بتضلالِ

- ٢٢ -

على تلك من حال دموعي تذرفُ فأفني حنيّات الشئون وانزف
ويُنكر مني الصبرُ ما كان يعرفُ وأعرض عنه قالياً من يصف
ولست بمقلي الخلال ولا قال

- ٢٣ -

ولو ان عمري في ذُرى الزمن ارتقى غداة تراءى الجمع بالجمع والتقى
وأجفل خوف الموت من كان حققا لقلتُ وقد جدَّ اليقين وصدّقا
لخيلي كرى كرة بعد اجفال

- ٢٤ -

وضاحكت شوقاً والدراغم تعبس وسمر القنا بين التراثب كُنّس
حمامي وبعض الموت روح منفس ولم انقلب احمي حياتي وأحرس
على هيكل زهد اجارة جدال

- ٢٥ -

لقد صكّ وجه البدر شجواً وخمّشا وأذرف دمعُ الجو حزناً فأجهشا
نهار على النهرين جاشَ وجيّشا وأظمأ اصحابُ الكساء وعطشا
لغيث من الوسمي رائده خال

- ٢٦ -

تدس الله ذلك الروح ما شاء واشتهى وفرسه في الصالحين ونزّها
وصابت على شلوٍ الى تربة انتهى مدامع .... تحفة النهى
وجاء عليها كلّ اسحم هطّال

- ٢٧ -

ولولا قضاء انجز الوعد فاقتضوا وسامهم ان يجرعوا السم فارتضوا
عَلَوْ مثلَ ما كانوا بأولهم علوا وعاينت آساد الكفاح إذا سطوا
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالِ

- ٢٨ -

سأقضي عليه لوعةً ومراثيا فأفني حياتي والبكا والقوافيا
ولستُ أورّي كنه مافي اعتقاديا وما المرء في الدنيا ولو دام باقيا
بمدركِ أطرافِ الخطوب ولا آل

انتهت المخمسة بحمد الله وحسن عونهِ وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه .